المادة: السيرة النبوية
المحاضرة: موقف الرسول ρ من اليهود
المرحلة: الأولى
الأستاذ المساعد الدكتور رضاب حاتم ياسين

BIOGRAPHY OF THE PROPHET
ATTITUDE TOWARDS THE JEWS
THE FIRST STAGE
ASSISTANT PROFESSOR DR. REDHAB HATEM YASSIN

موقف الرسول ρ من اليهود:

لقد كان موقف اليهود الظاهري مندمجا في الموقف العام لهل المدينة في الترحيب بالرسول ρ والتعاون معه من أجل تحقيق الصالح العام لجميع سكان المدينة كما جاء في الصحيفة.

غير أن المصادر تؤكد أن موقفهم الباطني وحقيقة نواياهم كانت على خلاف ذلك، واعتبارا من تاريخ وصول الرسول ρ إلى المدينة. ولم يكن هذا الموقف العدائي للرسول ρ مقصورا على زعماء اليهود، بل كان موقف عامة اليهود وأحبارهم، فما كاد يصل الرسول ρ إلى المدينة ويستقر بها حتى نصب له أحبار اليهود العداوة بغيا وحسدا وضغنا لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله ρ منهم.

إن سبب بغض اليهود للرسول ρ وعدائهم له يرجع غلى أنهم كانوا يتوقعون مجيء النبي من بينهم، ليقودهم ويقضي على أعدائهم، وهو أمر كانوا يتهددون العرب بقرب حدوثه، فلما ظهر الرسول ρ من بين العرب، شعروا بالحقد والحسد، وراحوا يكيدون ويدبرون المكائد ضد الرسول ρ ودعوته، ولم تجد معهم كل المحاولات التي بذلها لكسبهم وتألف قلوبهم التي تجلت بأقوى صورها في التنظيمات التي وضعها في الصحيفة لتنظيم العلاقات بينهم وبين المسلمين.

لقد انطلق اليهود في ممارسة مختلف صور التشكيك والدس والتآمر على الرسول ρ والدعوة الإسلامية، وقد التقى اليهود في هذا المجال مع كل المشركين والمنافقين في جبهة واحدة غير معلنة، فكيف تصدى الرسول ρ لدسائسهم وتآمرهم من أجل المحافظة على وحدة الأمة في مواجهة أعدائهم في الداخل والخارج.

تجمع المصادر التاريخية على أن يهود بني قينقاع كانوا أول من نقض العهد مع الرسول ρ، وتحداه من أجل المواجهة في ساحات القتال. فحين حارب الرسول ρ مشركي قريش وانتصر عليهم في معركة بدر أظهر اليهود الحسد والبغي، وقالوا: لم يلق محمد من يحسن القتال، ولو لقينا لقى عندنا قتالا لا يشبهه قتال أحد، وأظهروا نقض العهد. كما أنهم لم يقنعوا بمجرد تحدي سلطة الرسول ρ بالقول، بل قرنوا القول بالفعل.

ويبدو أن يهود بني قينقاع كانوا مغترين بقوتهم، إذ ذكرت المصادر أنهم كانوا أشجع يهود، وأن عدد مقاتليهم كان سبعمائة مقاتل، أربعمائة دارع وثلاثمائة حاسر، كما كان لديهم حصن منيع يتحصنون به في أثناء القتال، فضلا عن أنهم كانوا يرتبطون بحلف مع بني عوف من الخزرج الذي ينتمي إليهم عبد الله بن أبي زعيم المنافقين، الذي شجعهم على محاربة الرسول ρ ووعدهم بأنه سيدخل معهم حصنهم ويقاتل إلى جانبهم، وربما أوحى إليهم بأنه قادر على إحداث تصدع في صفوف المسلمين واجتذاب قومه من الأنصار للوقوف إلى جانبه ضد الرسول ρ.

غير أن آمال اليهود قد خابت وشجاعتهم المزعومة قد تحولت إلى تردد وذعر حينما توجهت قوات المسلمين إليهم وحاصرت حصنهم، وقد استمر الحصار لمدة خمس عشرة ليلة، دون أن يجد اليهود لديهم الجرأة للخروج ومقاتلة المسلمين، فما رموا بهم ولا قاتلوا حتى نزلوا على صلح رسول الله ρ وحكمه.

إن موقف بني قينقاع يثير تساؤلا عن العوامل التي جعلتهم يسارعون إلى نقض عهدهم مع الرسول ρ دون غيرهم من القبائل اليهودية التي كانت تقطن معهم في المدينة، فقد كان لبني قينقاع سوق في المدينة يحمل اسمهم، وأنهم كانوا يشتغلون في هذا السوق بالتجارة وممارسة بعض الحرف كالصياغة، لذا فقد وجدوا في اشتغال صحابة رسول الله ρ من المهاجرين الذين اشتهروا ببراعتهم التجارية بحكم انتمائهم إلى قبيلة قريش، ما يهدد مصالحهم الاقتصادية، تضافر هذا العامل مع بقية العوامل الدينية والسياسية من أجل تحريك مشاعر العداء والحقد على المسلمين ودفعهم إلى نقض عهدهم مع الرسول ρ ومحاربته.

لقد ترتب على انتصار المسلمين على بني قينقاع وإجلاؤهم عن المدينة إلى أذرعات في بلاد الشام أن ازداد مركز الرسول ρ قوة داخل المدينة وضعف مركز خصومه من المنافقين واليهود، كما تحسنت أوضاع المسلمين الاقتصادية، وبخاصة أحوال المهاجرين منهم بسبب استفادتهم من المساكن والأموال التي تركها لهم بنو قينقاع، هذا فضلا عن زوال المنافسة التجارية التي كان يمثلها هؤلاء اليهود للمهاجرين الذين كانوا يمارسون المهنة نفسها.

معركة أحد:

عمل زعماء قريش على حشد أكبر عدد ممكن من المقاتلين من أجل خوض هذه المعركة، لذا فإنهم لم يكتفوا برجال قريش وحدها، بل حاولوا إشراك حلفائهم معهم في القتال، فدفعوا قبيلة ثقيف وعبد مناة والأحابيش للمساهمة معهم، وقد لبت هذه القبائل نداءهم بصورة محدودة، إذ تشير المصادر إلى أن قريشا قد خرجت إلى القتال وهم ثلاثة آلاف بمن ضوى إليهم، وكان فيهم من ثقيف مائة رجل، مما يدل على أن معظم رجال الحملة كانوا من قريش.

وقد خاض المسلمون المعركة واستطاعوا اختراق صفوف المشركين، وإجبارهم على التراجع حتى بدا النصر في متناول أيديهم، مما شجع سرية الرماة التي كانت تحمي ظهور المسلمين فوق الجبل على مغادرة مواضعها لمشاركة مقاتلة المسلمين في جني ثمار النصر، وبذلك اختلت خطة المسلمين الحربية مما ساعد المشركين على القيام بحركة التفاف سريعة من خلال الاستيلاء على مواضع الرماة ومحاصرة المسلمين، وهكذا انقلب النصر إلى هزيمة، واضطربت صفوف المسلمين، وأخذوا يقاتلون من أجل إنهاء المعركة بأقل خسارة ممكنة.

وحين انتهت المعركة، كانت خسائر المسلمين فيها خمسة وستين شهيدا، أربعة من المهاجرين، والبقية من الأنصار، ويلاحظ أن الرسول ρ قد قاتل بنفسه في هذه المعركة، وأصيب بجراح في وجهه، حتى ظن أنه قد قتل، واستمر يقود المعركة وحوله مجموعة من الصحابة حتى انتهت المعركة.

غير أن الرسول ρ قام في اليوم التالي لمعركة أحد بقيادة جيش المسلمين، وتظاهر بمطاردة فلول المشركين من أجل إشعارهم بقوته من جهة، ورفع معنويات المسلمين من جهة أخرى، وحين وصلت أخبار تحركات المسلمين إلى مشركي قريش أسرعوا بالعودة إلى مكة، لتجنب الدخول في مواجهة أخرى مع المسلمين، وبذلك حقق الرسول ρ أهدافه من هذه المناورة، وبقي معسكرا بجيشه عند حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة لأيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة.

بنو النضير:

لقد قابل الرسول ρ دسائس يهود بني النضير وتعاونهم مع الأعداء بالصفح والتسامح، حتى وصل الأمر بهم إلى محاولة التآمر على حياته من أجل قتله، عند ذلك اضطر إلى مواجهتهم بالحزم الواجب الذي لا تردد فيه، فقد ذكرت المصادر أن الرسول ρ ذهب إلى بني النضير برفقة أصحابه طالبا منهم معاونته في دفع دية الرجلين الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري في حادثة بئر معونة، فأظهر له

اليهود الترحيب وطلبوا منه الجلوس ليصنعوا له طعاما، فجلس الرسول ρ مسندا ظهره إلى بيت من بيوتهم، عند ذلك دارت في رأس أحد زعمائهم وهو حيي بن أخطب فكرة اغتيال الرسول ρ وهو بينهم، فقال حيي: يا معشر اليهود، قد جاءكم محمد في نفير من أصحابه لا يبلغون عشرة، فاطرحوا عليه حجارة من فوق هذا البيت الذي هو تحته فاقتلوه، فلن تجدوه أخلى منه الساعة! فإنه إن قتل تفرق أصحابه، فلحق من كان معه من قريش بحرمهم، وبقي من هاهنا من الأوس والخزرج حلفاؤكم، وعلى الرغم من تحذيرات أحد زعماء اليهود من عواقب الغدر، فإن يهود بني النضير مضوا في تنفيذ مؤامرتهم وتطوع أحدهم لتنفيذ الفكرة، غير أن الرسول ρ أحس بالمؤامرة، فتسلل خارجا من ديار بني النضير بحجة قضاء حاجة طارئة ثم عاد إلى المدينة.

أيقن الرسول ρ بعد انكشاف أمر هذه المؤامرة أنه ليس بالإمكان التعايش بسلام مع يهود بني النضير في المدينة، لذا فقد بعث إليهم أحد أصحابه محمد بن مسلمة τ من الأوس، وكانوا حلفاء بني النضير، ليبلغهم جواب رسول الله ρ على غدرهم للعهد بقوله: اخرجوا من بلدي، فقد أجلتكم عشرا فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه!

المصادر:

السيرة النبوية: ابن هشام: الجزء الثاني

السيرة النبوية: ابن كثير: الجزء الثاني

الروض الأنف: السهيلي: الجزء الثاني

الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة: هاشم يحيى الملاح